أدب الأطفال
واستخداماته في التليفزيون

إعداد أ/ دينا شكري[1]

تلعب ثقافة الطفل وأدبه دوراً مهماً في تشكيل شخصية الطفل وفي إعداده للمستقبل ، ويصبح الاهتمام بثقافة وأدب الطفل العربي من المهام التي يجب أن يضعها القائمون على تربية الطفل العربي نصب أعينهم .

كما إن للإعلام أثره المباشر والقوي في تربية الطفل العربي ، وتكمن خطورة الإعلام في أنه يمتلك القدرة على صياغة فكر وأخلاق الطفل .

ويعد التلفاز في مقدمة وسائل الاتصال تأثيرا في حياة الفرد لما يتمتع به من مزايا نقل الصوت والصورة والحركة واللون، ولهذا فإن التلفاز بما يقدمه من برامج خاصة بالأطفال أو الكبار أصبح له تأثيراً علي سلوكيات الأطفال وتنمية مواهبهم وصقل قدراتهم وأفلام الكارتون بخاصة لما لها من جاذبية عند الأطفال تأتي في مقدمة المواد الإعلامية التي تقدم للأطفال عن طريق التلفاز وعن طريق هذه الأفلام يمكن السيطرة علي عقول الأطفال ، ويمكن أن تحقق بعض الدول أو بعض المنظمات أهدافها من خلالها وذلك بالسيطرة علي عقول الأطفال في الدول الأخرى وتحقيق الهيمنة الفكرية عليهم، ومن ثم علي دولهم.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه الأفلام دراسة تربوية لحماية عقول الأطفال من الغزو الثقافي والفكري وتحقيق الأمن الثقافي العربي الذي هو دعامة الأمن الاقتصادي والأمن العسكري .

لذا جذب التلفاز اهتمام الباحثين في مجال الطفولة ، نظراً لما يتمتع به هذا الجهاز السحري من جاذبية تشد الأطفال نحوه ، من ثم تشكيل سلوكياتهم سواء إيجابًا أو سلبًا، ومن هذه الدراسات "بهادر ، سعدية" و"الحديدي، مني سعيد" و " شرام، ويلبور ،و أخرين" و"بسيوني، سهير محمد" وتوصلت هذه الدراسات إلي :

1. إن للتلفاز أثره وأهميته في تربية الأطفال ، وإمكانية الاستعانة به في تنمية معلومات وخبرات الأطفال.

(1) أخصائي إعلام بالمركز القومي لثقافة الطفل بالهرم.

2. إن الطفل يتذكر 50٪ مما سمعه وشاهده ، في نفس الوقت يتذكر 20 %مما سمعه فقط ، و10٪ مما قرأه.
3. إن بعض البرامج تصل فترة عرضها من 45إلي 60 دقيقة ، وهذا لا يراعي قدرة الطفل علي المتابعة والتركيز.
4. إن الأطفال الذين يشاهدون التلفاز أقل إقبالاً من أقرانهم الذين لا يشاهدون التلفاز علي أعمالهم المدرسية.
5. إن برامج التلفاز لا تقدم مجموعة متكاملة ومتوازنة من القيم.
6. تقدم البرامج نسبة كبيرة من السلوكيات السلبية التي لا تتفق مع أهداف المجتمع و قيمه.
7. إن القيم الإيجابية تزيد نسبتها في البرامج ذات المصدر المصري العربي.

مما سبق يتضح أن الدراسات اتفقت علي أهمية التلفاز في حياة الأطفال ، وأكدت الدراسات العربية علي أن ما يقدمه التلفاز من برامج موجه للأطفال يتضمن قيم لا تتفق مع أهداف المجتمع وعقائده ، وأن البرامج لاتراعي خصائص نمو كل مرحلة من مراحل الطفولة، وأن ما يقدم من البرامج المصرية والعربية يكون أكثر صلة واتفاقًا مع الواقع العربي ، مما يقدم من أعمال أجنبية.

وتزداد أهمية التلفاز في مجال تثقيف الطفل لأنه يجذب انتباه الأطفال من سن سنتين تقريبًا ويقضي الأطفال فترة طويلة في مشاهدته .

ويرى البعض أن " أفلام الكارتون تأتي في مقدمة البرامج التي يشاهدها الأطفال لأن بها أفكار ومعلومات جيدة ومسلية وجذابة فيها إثارة ومغامرات تحتوي علي حواديت وحكايات وفيها صور ورسوم وعرائس تهتم بالأطفال .

ولهذا " فإن الرسوم المتحركة بصفتها أكثر الألوان التلفازية جاذبية وتشويقًا للأطفال باتت فنًا مطلوبًا بإلحاح ليقوم بدوره في توعية الطفل وتثقيفه وتوسيع آفاقه الفكرية والعلمية وبلورة شخصيته الثقافية والاجتماعية " .

ويرى أحد الباحثين ، أن التلفاز وسيلة عظيمة جدًا ، تستخدم بنجاح في إحداث كثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، حتى أنه يصح أن يقال فيه : بأنه لم يعد هناك حاجة لإرسال الجيوش إلى الدول الأخرى بل إلى إرسال برامج تلفزيونية إلى محطات تلك الدول ، لتعرّفها على مواطنها أو تبث إليها البرامج عبر الأقمار الصناعية فيحصل التغيير الذي تريده الدول المستعمرة .

والطفل يجد عادة جاذبية في التلفاز ، منذ الوقت الذي يستطيع فيه إدراك ما حوله ، فيستمتع بما يشاهد من حركة ولون ونغم ، حتى قبل أن يدرك ما تعبر عنه تلك الحركة ، أو ما تحمله تلك الأغنية

من مفاهيم . . ، والتلفاز أصبح منتشراً في البلدان العربية بنسبة 90٪ ما عدا الصومال وموريتانيا ، والأطفال هم الجمهور الأساسي للتلفاز ، وهذا الجمهور لا يملك في الغالب الحس النقدي الذي يوجهه لاختيار المفيد ، بل يشاهد ما يبثه ويقع تحت سيطرته وتأثيره.

ويلاحظ في هذا الشأن أن تأثير التلفاز في الأطفال أبلغ وأعمق من الكبار ، وذلك لطبيعة النمو ذاتها ، فالطفل يتقبّل كل ما يقدّم له دون مناقشة ، فهو أكثر قدرة على امتصاص كل ما يراه ، فكيف إذا كان ما يقدم إليه من خلال شاشة التلفاز التي تحوي درجة عالية من الإثارة والتأثير ، تحفز الأطفال إلى مشاهدة كل ما يعرض على شاشته ، فكثيراً ما يتراءى للطفل أنّه يسهم فيما يجري أمامه من أحداث ووقائع ويتوحد معها ، كما أنّ التلفاز ينميّ آفاق الأطفال المعرفية ، ويضيف إلى معارفهم أو يصححها ، ويمهد لتكوين رأي عام ناجح بينهم حيال موضوعات معينة ، وتقرر نتائج دراسات معهد بحوث الاتصال بجامعة ستانفورد بأميركا في عام 1982م ، أن البرامج التلفزيونية الجيدة من حيث التخطيط والإعداد يمكن أن (تخلق) حالة من الدافعية في حياة الأطفال ، توجّه وتشحذ القوة القرائية عندهم ، بتزويدهم بخلفية عريضة وإيضاحات متعددة ، وتشجّع على التعلّم الاستقلالي ، وتثير الشغف والاهتمام والحماسة ، وتنمي المزيد من البصيرة المتجددة والميل الدائم إلى الاستكشاف.

ولا يعني ذلك أن التلفاز ليس له مضاره ، فالباحثون يعتبرون أنُه أكثر وسائل الإعلام تأثيراً ، وأشدها خطراً ، حيث يؤدي دوراً خطيراً في حياتنا اليوم وبصورة أخص في حياة الطفل ، وخصوصاً من الناحية النفسية والعقلية ، فالتلفاز سلاح له قيمته ، ويمكن أن نستغله حسب تصوراتنا وتطلعاتنا ، وبه تتشكل حياة أطفالنا ، وتأثيره يكون كبيراً وسريعًا حسب البرنامج المرسوم ، والطفل يفضل التلفزة على القراءة ، حيث تحلّق به برامج التلفاز في عوالم متعددة ، وتقدم له ما يظنه الحياة على حقيقتها ، بلغة سهلة ، أقرب إلى لغة التخاطب ، وإلى اللغة التي يسمعها في محيطه .

وقد يكون التلفاز بالفعل ، أبرز وسائل الإعلام تأثيراً ، و قدرة على اجتذاب الطفل ، وشل قدراته الذهنية ، في عملية مغناطيسية ساحرة ، يمضي الطفل أمامها ساعات ، منصرفًا عن محيطه وواقعه ، ليعيش تفاصيل ما يراه على الشاشة السحرية وقد يترك واجبات المدرسة ، ويقلل من اهتماماته باللعب والمرح ، ويتأخر عن النوم.

ويصاب الطفل بسبب التلفاز بأضرار بدنية متعددة إذا أساء الاستفادة منه ، وقد يؤدي إلى التشوهات القواميّة ويؤثر على التفكير والإبداع وربما يؤدي إلى تبلد قوى التخيل ، إلى جانب تأثيره الأكيد على البصر ، في حال الجلوس الطويل أمامه وإرهاق العينين . . وغير ذلك من المضار .

ولا يعبأ الطفل عادة بكل ذلك ، و يقلص من رغباته العادية ، طمعًا بوقت أكبر ، يقضيه مع أبطال البرامج المعروضة من خلال هذا الصندوق الباهر ، الذي ينقل العالم إلى غرفته الصغيرة، ويظل

مشدوداً بعينيه ومشاعره وأفكاره ، كأنه واحد من الممثلين المشاركين ، أو على الأقل من المتفاعلين معهم.

وبالرغم من كل ما يقال عن التلفاز ، فإنه بالتأكيد ليس كله خطراً ، ففيه من البرامج والرسائل ما هو هادف وبناء ، (فمن خلال ما يعرض على شاشة التلفاز ، ومن النماذج الطيبة التي يمكن أن تقدم ، نستطيع استثارة دوافع الأطفال من خلال تلك النماذج) وكثير من كوامن الخير والفضيلة ، وإبهار جوانب الجمال في نفسه ، وقيادته نحو الفلاح في الدنيا والآخرة ومساعدته على القيام بدوره في المجتمع بتنمية وإذكاء روح العلم والمعرفة في نفسه . لكن أحد الباحثين حذر مما أسماه بالتلوث التلفزيوني ، لأن التلفاز أصبح شريكًا منافسًا للأسرة والمدرسة في تربية الأطفال ، حيث إن الطفل العادي في العديد من البلدان ، قبل أن يلتحق في المدرسة الابتدائية ، يكون قد قضى نحو4000 ساعة أمام الشاشة الصغيرة ، واكتسب معلومات كثيرة ، وعندما يحين وقت دخول الطفل دار الحضانة ، يكون قد قضى فعلاً ساعات عديدة ، يتعلم عن العالم أمام جهاز التلفاز ، أكثر مما سيقضي في قاعة المحاضرات بالكلية للحصول على الشهادة الجامعية أو درجة الماجستير ، لذا فإن بعض البرامج في هذا الجهاز تلعب دوراً كبيراً في التربية المتناقضة لأطفالنا .

ومن سياق ملف علمي أعدّ لهذه الغاية ، بما رأته خطراً كبيراً يتعلق بملكة التخيل عند الأطفال ، لأن التلفاز عندما يقتحم أوقات الفراغ وأحلام اليقظة ، فإنه يحدث خللاً في نمو الخيال عند الطفل ، فالطفل الذي يلعب ، يستعين بتصوراته الذهنية الخاصة به ، وعندما ترتبط ألعابه ببرامج التلفاز ، فإن الطفل لا يعود مبدع أفكاره ، بل يصبح مجسداً لأفكار الآخرين ، حتى إن الحدود بين الخيال والحقيقة ، راحت تتلاشى شيئًا فشيئًا ، وبات يخشى أن يتطور عقل الطفل إلى عالم اللامعقول .

ويؤكد الملف العلمي نفسه ، أن الأطفال يمضون خلال العام أمام الشاشةالصغيرة ، وقتًا معادلاً للوقت الذي يمضونه على مقاعد الدراسة ، وأنّ التلفاز يولد بعد اندماجه في حياة الأسرة ، حالة من الاعتياد ،وبالأخص بالنسبة إلى الأطفال ، وعندئذ يصبح العنف الذي ينقله التلفاز أمراً لا مفر منه ، مهما يكن الوقت ، وأيًا كانت القناة ، بما في ذلك البرامج المنتجة خصيصًا للأطفال . وتقرر الدراسة نفسها ، أن التلفاز سارق للوقت ، فعندما يشاهد الأطفال البرامج التلفازية لمدة أربع ساعات يوميًا ، فإنهم لن يفعلوا أيًا من الأشياء العديدة الأخرى ، التي قد تكون في نهاية المطاف أكثر أهمية من زاوية نموهم ، وقد يؤثر التلفاز بعمق في مواقف الأطفال ومعتقداتهم وتصرفاتهم ، مما يستدعي ضرورة الحذر الشديد من البرامج المقدمة على الشاشة الصغيرة ، وهذا يتطلب دوراً أكبر من المدرسة والأسرة للحد من تأثير التلفاز . ولعل هذه الدراسة الغربيه ، واحدة من الإشارات الساطعة ، التي تلفت الانتباه إلى أهمية التعامل بحذر مع هذا الضيف الساكن في كل منزل ، وخصوصًا فيما يتعلق بالأطفال ، حتى لا يتركوا وحدهم يتنقلون من محطة تلفزيونية إلى أخرى ، دون رقابة ممن هو أرشد منهم.